

د/ علاوة فوزي¹

التربية الإعلامية كآلية لمواجهة الجريمة الالكترونية

Media education as a mechanism of combating the cybercrime

تاريخ النشر: 2020/06/15

تاريخ القبول: 2020/05/27

تاريخ الاستلام: 2020/04/17

ملخص:

تشهد البشرية اليوم مرحلة جديدة من تاريخها تتمثل في ظهور مجتمع جديد يعيشه الفرد و يتفاعل معه و من خلاله والذي يطلق عليه تسمية المجتمع الافتراضي المرتبط بالتطور الحاصل على مستوى التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، هذت المجتمع أضى يلعب دورا مهما ومتزايدا في حياة الأفراد يضا هي دور المجتمع الواقعي وفي بعض الأحيان قد يفوقه، وأمام هذا الواقع أصبح من الضروري أن تعي المجتمعات هذه الحقيقة الجديدة وبالتالي العمل على تزويد أعضائها بالأدوات والمعارف اللازمة للعيش في هذا المجتمع الجديد، وهذه المسؤولية التعليمية هي ما يطلق عليها اليوم مصطلح التربية الإعلامية والتي لجأ إليها الكثير من المجتمعات لتعليم الأفراد وبالخصوص الأطفال منهم طرق التعامل مع محتويات وسائل الإعلام بشكل عام وكذلك وسائط العالم الافتراضي بشكل خاص، وذلك لأن هذا الأخير نجد فيه ما نجد في المجتمع التقليدي من ظواهر «ف هناك التجارة الصداقة، الاحتيال، الجريمة، التشهير، التضليل، الإعلام، التعليم... إلخ، وهذا ما يجعل من موضوع التربية الإعلامية موضوعا مهما وضرورة قصوى في عالم اليوم اليوم، وفي هذا المقال سنركز على التربية الإعلامية كآلية من الآليات الناجعة والفعالة لمواجهة الجريمة الالكترونية وخاصة على مستوى فئات الطفولة.

Abstract

Today, humanity is witnessing a new stage in its history, represented by the emergence of a new society in which the individual lives and interacts in. This society is called the virtual community designation, which is associated with the development-taking place at the level of the modern information and communication technologies. This society has come to play an important and increasing role in the lives of individuals comparing to the role of the real society and in sometimes it may even exceed it. Therefore, it has become very necessary for societies to be aware of this new reality and thus work to provide its members with the necessary tools and knowledge to live in this new society. This educational responsibility is what is called nowadays "the media education", which many societies resort to in order to teach the individuals, especially children, ways to deal with the contents of the media in general, as well as the media of the virtual world in particular. Because the latter is mainly similar to the traditional society when it comes to: "trade, friendship, fraud, crime, defamation, misinformation, media, education ... etc.

¹ المؤلف المرسل: د/ علاوة فوزي، جامعة محمد بوضياف - المسيلة. fouzi.allaoua@univ-msila.dz

مقدمة:

لقد أضى الفرد في عالم اليوم يعيش في عالم موازي لعالمه الواقعي، وهذا العالم يطلق عليه في كثير من الأحيان مصطلح العالم الافتراضي والذي أصبح الفرد في كثير من الحالات يعيش في ظله أكثر مما يعيش في العالم الواقعي، ومما لا شك فيه أن فئات الشباب والطفولة هي أكثر الفئات الاجتماعية ارتباطا بهذا العالم بحكم أنهم أبناء عصر التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال بامتياز، وباعتبار أن مجتمع البالغين هو المسؤول على العناية بهذه الفئات وتعهدها بالرعاية في المراحل الحرجة من عمرها فإن من الواجب على هذا المجتمع الالتفات إلى هذا العالم الافتراضي والانتباه له ولأخطاره المتعددة، وبالخصوص إذا علمنا أن هذا العالم يحوي ما يحتويه العالم الواقعي من ظواهر وخاصة ما تعلق منها بظواهر الإجرام والانحراف وهو ما جعل من موضوع الجريمة الالكترونية من أكثر المواضيع التي أضحت تقلق العالم، ففي عالم اليوم لا يعني بقاء الطفل في المنزل خلف الشاشات المختلفة والمتعددة بأنه في منأى عن ظواهر الإجرام والانحراف المتواجدة=د والمنتشرة بالشوارع والازقة، بل قد يكون أكثر تعرضا لها خلف الشاشة في المنزل من التواجد بالشارع بعيدا عن العائلة، وبناء على ما سبق فإن من الواجب إعداد الطفل إعدادا سليما للتعامل مع هذا العالم الافتراضي وهذا لا يتم إلا من خلال ما أصبح يعرف بالتربية الإعلامية، لذا سنركز في مداخلتنا على هذه الأخيرة باعتبارها آلية أساسية ومهمة في عالم اليوم لحماية فئات الشباب والطفولة من الجريمة في بعدها الالكتروني.

ويمكن تعريف التربية الإعلامية بأنها تلقين مبادئ التعامل النقدي مع وسائل الإعلام بشكل عام ويمكن اعتبارها بأنه شكل من أشكال تنشئة الفرد وإعداده إعدادا سليما للتعامل مع الوسائط الإعلامية عموما بما فيها مختلف أشكال الإعلام الجديد.

والسؤال الذي سنحاول الإجابة عليه هو كما يلي:

ما الدور الذي يمكن أن تلعبه التربية الإعلامية في حماية فئات الأطفال والشباب من الجريمة الالكترونية؟

1. الجريمة الإلكترونية كشكل جديد من أشكال الانحراف والإجرام:

إن مخاطر الجريمة التي يمكن أن يتعرض لها الطفل والشباب في العالم الواقعي كما في العالم الافتراضي قد تكون على مستويين اثنين هما كما يلي:

- أن يتعلم الطفل الجريمة وبالتالي ارتفاع إمكانية تحوله لمجرم خاصة إذا علمنا إن الميل إلى الإجرام يتم في مراحل مبكرة من عمر الإنسان في العادة.

- أن يكون الطفل معرضا للوقوع كضحية لظواهر الإجرام والانحراف.

وبهدف توضيح هذين المستويين من المخاطر التي تهدد بشكل كبير مستقبل المجتمعات من خلال تهديد فئات الأطفال والشباب الذين هم مجتمع الغد يمكن أن نستعرض نظريتين سوسيولوجيتين حول الجريمة والانحراف وهما كما يلي:

1.1. نظرية إدوين سيدرلاند حول الجماعة المختلفة: L'association différentielle:

هذه النظرية قائمة بالأساس على فكرة التعلم ومن أكثر الأعمال التي قدمها هذا الباحث شهرة هو دراسته عن جنوح رؤساء المؤسسات أو ما يطلق عليه إجرام الياقات البيضاء، فالمحور الأساسي لنظرية هذا الباحث هي عملية التعلم والاكتمساب لذا نجده اهتم بإبعاد الجريمة عن التفسيرات البيولوجية والعرقية لأن الجريمة لا تلد

مع الإنسان وليست مرتبطة بأشخاص دون آخرين ولا هي موجودة في جينات أفراد معينين، بل يكتسبها الأفراد في حياتهم من خلال الاختلاط والاحتكاك بالجماعات المنحرفة والإجرامية والاتصال بها، وهذا ما يؤدي إلى تعلم واكتساب السلوك الإجرامي، فمثلا كما يتم تعلم السلوكيات المتوافقة مع معايير المجتمع يتم كذلك تعلم السلوكيات المخالفة والمنحرفة عن معايير المجتمع، لذا كان هدف هذا الباحث "هو وصف المسار الذي يتبعه الفرد ليصبح منحرفا، فنظريته المسماة L'association différentielle تؤكد على أن السلوك الإجرامي يتم تعلمه من خلال قنوات التبادل بين الأشخاص التي تجعلهم يكتسبون تقنيات الجنوح"¹، إذن فإن جوهر هذه النظرية هو أن السلوك الجانح يتم تعلمه من خلال عملية الاحتكاك بجماعات جانحة، وقد تم وصف هذه النظرية من خلال تسعة نقاط أساسية هي:²

1. السلوك الإجرامي يتم تعلمها بالأساس.
2. السلوك الإجرامي يتم تعلمه من خلال علاقات مع أشخاص آخرين قائمة على أساس الاتصال.
3. السلوك الإجرامي يتم تعلمه من داخل جماعة معينة.
4. من خلال التعلم الإجرامي يتم تلقي وتعلم طرق وتقنيات تنفيذ الخروقات.
5. التحكم في توجيه الدوافع والتوجهات من خلال مساندة أو عدم مساندة القواعد الرسمية، فهناك بمجموعات تساند الخضوع للقانون وهناك بمجموعات لا تتردد في خرقه.
6. يصبح الفرد مجرما عندما تقوم التأويلات الغير مساندة للقانون بإبعاد التأويلات المساندة له.
7. الاختلاط التفاضلي يمكن له أن يختلف من حيث التكرار، الفترة والكثافة.
8. التعلم الإجرامي يعتمد على نفس الآليات التي تعتمد عليها بقية عمليات التعلم الأخرى.
9. السلوك الإجرامي يعبر عن نسق من الحاجات والقيم لصاحبه وذلك مثله مثل السلوك الغير إجرامي.

والعالم الافتراضي من خلال ما اتاحه من إمكانيات أكبر للاتصال لم تعرف لها البشرية مثيلا في تاريخها قد ساهم في زيادة إمكانيات التعلم بشكل عام بما في ذلك إمكانية تعلم السلوك الإجرامي، لذا فلا بد من التأكيد على أن الفرد حين يحتك ويتواصل في العالم الافتراضي مع أفراد آخرين وجماعات مختلفة فإنه بصدد تعلم واكتساب سلوكيات معينة قد تسهم بشكل كبير في تكوين شخصيته بشكل كبير في المستقبل، والاشكالية المطروحة في هذا الإطار إنه لا يمكن منع الطفل من الولوج والاختلاط بهذا العالم الافتراضي أو العمل على مراقبته بشكل مستمر، وبالتالي فإن الاستثمار في مجال التربية الإعلامية قد يعد أداة ناجمة لحماية الطفل من المخاطر المحتملة لهذا العالم.³

2.1. نظرية نمط العيش:

وقد ركزت هذه النظرية على ضحايا الانحراف بشكل أساسي، وذلك من خلال تأكيدها أن نمط العيش الذي يتبعه الضحايا هو السبب الأساسي في وقوع أفعال الجنوح والانحراف التي تستهدفهم، وبعبارة أخرى فإن الفكرة الأساسية لهذه النظرية هي "أن احتمالية أن يكون الفرد ضحية الاعتداء هو مرتبط بما يقوم به خلال حياته اليومية، ومن خلال الأفراد الذي يلتقي بهم، والأماكن التي يتردد عليها، والأوقات التي يتواجد بها خارج المنزل... إلخ"³، أي أن الفرد الأكثر عرضا للاعتداء هو من يكون في مواقف مساعدة على ذلك، فمثلا قضاء أوقات معينة مع جانيين يعرض الفرد لخطر الاعتداء، أو التواجد خارج المنزل لفترات متأخرة من الليل أو التردد على أماكن اللهو

حيث يوجد المغمورين ومتعاطي المخدرات يعرض كذلك صاحبه لخطر الاعتداء... إلخ، فهذا النمط من العيش هو السبب الرئيسي في الوقوع كضحية لظواهر الانحراف والجروح، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها ولا تزال تتوصل إليها الدراسات المعتمدة على هذه النظرية وذلك على سبيل الذكر فقط أن انحراف الأحداث أو المراهقين ضحاياه بالأساس هم المراهقين انفسهم، لذا نجد دائما أن نسب المراهقين في إجمالي الضحايا مرتفعة، وعلى العكس من ذلك فإن كبار السن رغم ضعفهم الجسدي إلا أن حضورهم في الإحصائيات كضحايا هو منخفض، ومرد ذلك بالأساس حسب هذه النظرية هو نمط العيش الذي يتبعه المسن والذي يقضي في الغالب فترة أطول بالمنزل، ولا يبقى خارجه لوقت متأخر ولا يتواجد في أماكن اللهو والتسلية بشكل كبير، وبالتالي فإن هذا النمط من العيش هو ما يجعله أقل تعرضا للاعتداء، على العكس من ذلك فإن المراهق مثلا الذي يصاحب مراهقين مثله ويقضي معهم معظم وقته، والذي قد يبقى إلى وقت متأخر خارج المنزل وذلك في أماكن معينة قد تتوفر فيها أنواع الخمور والمخدرات، فإن هذا النمط من العيش هو ما يجعله أكثر عرضة للاعتداء والوقوع كضحية.

ويمكن إسقاط هذه النظرية على العالم الافتراضي من خلال ان الفرد يقضي اوقاتا طويلة في هذا العالم، وبالتالي فإن ذلك قد يعرضه بشكل كبير لمخاطر هذا العالم إن لم يتم إعداده اعدادا سليما للعيش في هذا العالم، وفي هذا الإطار كذلك فإن التربية الإعلامية قد تعد كذلك أداة ناجعة للحماية من الجريمة في هذا العالم.4

2- التربية الإعلامية كأداة للحماية من الجريمة الالكترونية:

ربما فإن ما يطلق عليه اليوم تسمية التثقيف الإعلامي أو التربية الإعلامية تعد من أهم أشكال التنشئة الاجتماعية للفرد التي تهدف إلى تعليمه التعامل مع هذا الواقع الجديد وذلك على غرار التنشئة التقليدية التي التي تهدف كذلك لاعداد وتزويد الفرد بمعلومات وأدوات التعامل مع المجتمع وظواهره المختلفة، والتي تعرف بشكل عام « بأنها إعداد الطفل ثم الصبي فالبالغ الراشد للاندماج في انساق البناء الاجتماعي والتوافق مع المعايير الاجتماعية وان كانت التنشئة الاجتماعية موجهة بشكل عام للفرد من حيث أنه عضو في جماعة ما، إلا أنها موجهة بشكل أساسي إلى فئات الطفولة و الشباب، «فالطفولة بمعناها العام هي الفترة التي يحتاج فيها الصغار إلى عون الكبار وعطفهم ورعايتهم ومعاونتهم على مقابلة احتياجاتهم الأساسية ومواجهة مطالب حياتهم الاجتماعية و المادية و اكتساب ما هم بحاجة إليه من علم ومعرفة ومهارة وسلوك»5 ، و التربية الإعلامية باعتبارها شكل من أشكال التنشئة الاجتماعية للطفل أصبحت ضرورة لا غنى عنها في عالم اليوم، و ما قيام الكثير من الدول بإنشاء هيئات تسهر على هذا النوع من التربية وكذا تبني سياسات عامة وتخصيص ميزانيات لذلك إلا دليل على أهميتها، فالطفل لا يمكن تركه يبحر وحده في عوالم العالم الافتراضي بدون تلقينه بعض المعارف حول الإبحار، بعبارة أخرى لا يمكن تزويد الطفل بالات اتصال تكنولوجية حديثة فقط وتركه في حاله معها، لأنه في هذه الحالة وكأننا نطلب من فرد ما الملاحة في البحار و المحيطات بمجرد تزويده بزورق أو سفينة وفي هذه الحالة حتما سيواجه مشاكل وصعوبات بسبب نقص معارفه. ومسؤولية التربية الإعلامية للطفل تتحملها العديد من المؤسسات الاجتماعية المختلفة خاصة ما تعلق منها بالأسرة و المدرسة، وفي هذا الإطار ربما يصح المثل الإفريقي القائل بأنه لابد من قرية كاملة لتربية طفل، لكننا سنركز أكثر على الأسرة والمدرسة باعتبارهما اهم وأكثر المؤسسات الاجتماعية التي يمكن لها ان تلعب ادوارا أساسية في حياة الطفل.

1-2 الأسرة:

مما لا شك فيه فإن الأسرة هي مؤسسة مهمة في حياة الفرد وان تداخل و تراجع دورها في بعض الفترات، وهذه الأهمية تكون بشكل كبيرة في السنوات الأولى للطفل وهذا لعدة أسباب أهمها ما يلي:

- الطفل في هذه الفترة لا يكون متصلا بأي جماعة خارجية أخرى إلا الأسرة التي ينتمي إليها.

- يكون أكثر تأثرا بالمحيطين به باعتباره فردا متأثرا وليس مؤثر.

- بسبب طبيعته يكثر أكثر قابلية للتعلم في هذه المرحلة.

- ضعف الطفل وحاجاته للآخرين يجعل من السهل على المجتمع المحيط به تكوسن شخصيته وتوجيه سلوكه.

وبناء على ما سبق فإن الأسرة مدعوة لكي تلعب دورها التقليدي في التنشئة الاجتماعية لكن في ظل معطيات جديدة متعلقة بالعالم الافتراضي وذلك لان الهدف الأساسي من التنشئة التقليدية هو من جهة العمل على جعل الفرد متوافقا مع معايير المجتمع الذي يعيش فيه وليس منحرفا عنها، ومن جهة أخرى العمل على حمايته من الأخطار المتعددة التي قد تواجهه و العمل على تنمية وتطوير الحس النقدي للطفل بشكل عام واتجاه الوسائط الإعلامية بشكل خاص.

2-2 المدرسة:

تعد المدرسة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وربما فإن الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المؤسسة في التنشئة السليمة للطفل آو العكس يكون أكثر أهمية من دور كل المؤسسات الأخرى لأنها تعتمد على مناهج تربوية صارمة عكس الأسرة، فالطفل حين يبلغ من العمر السادسة يرسل إلى هذه المؤسسة الاجتماعية ليقضي بها يوميا ساعات طويلة وسط مجتمع جديد لم يألفه يتكون من المعلم والتلاميذ «يربى تربية مقصودة تعتمد على الاستقلالية والعقلانية وتقليص النموذج الذاتي»⁶، وهذا ما جعل عالم الاجتماع الفرنسي «إميل دوركايم» في كتابه «التربية الأخلاقية للطفل» يقسم الطفولة إلى مرحلتين متميزتين هما مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة، الأولى تمتد من الميلاد حتى التحاق الطفل بالمدرسة، ويكون في هذه المرحلة تحت رعاية الأسرة التي تقوم بتعليمه وتوجيهه، أما المرحلة الثانية فهي التي تعد الأهم في نظر دوركايم لأنها تقدم للطفل مناهج مدروسة التعليم.

وعلى مستوى التربية الإعلامية فإن المدرسة يمكن لها ان تلعب أدوارا أساسية وهامة، لذا يمكن ملاحظة الاهتمام الذي أضحت الدول والمجتمعات توليه للتربية الإعلامية وتعمل جاهدة لتعليمه لمواطنيها وبالخصوص فئات الشباب والأطفال منهم وذلك بهدف تزويدهم بمبادئ عملية للتعامل مع المجتمع الافتراضي بشكل عام، ويتم ذلك بالأساس من خلال سياسات عامة تتمثل في إيجاد هيئات تسهر على نشر التربية الإعلامية وتشجيعها في إطار المدرسة بالخصوص، وذلك لان التربية والتعليم هي مهمة أساسية للدولة وهي واجب قامت به كل دول العالم دون استثناء تجاه مواطنيها، فالمدرسة هي المسؤولة عن إعداد الفرد ليكون عنصرا فعالا وإيجابيا في مجتمعه، ويتم ذلك بالأساس من خلال تعليمه القراءة والكتابة ومختلف علوم العصر، لكن عالم اليوم يتحول بسرعة نتيجة لثورة الاتصالات التي نعرفها، وبالتالي لا بد على المدرسة أن تواكب ذلك في برامجها ومقرراتها الدراسية، وأن تأخذ التربية الإعلامية بعين الاعتبار وذلك على كل المستويات العملية التربوية سواء ما تعلق منها بالأستاذ، التلميذ، المقرر الدراسي أو التجهيزات المختلفة التي تحتاجها المدرسة.

- الأستاذ:

باعتباره هو المسؤول الأول عن التعليم في المدرسة فمن الضروري العمل على تكوينه إعلاميا من خلال عمليات التأهيل وإقامة دورات تكوينية وتربصات، وكذلك يمكن تكوين مؤطرين متخصصين في التربية الإعلامية بشكل كامل يكون دورهم الأساسي محصورا في التربية الإعلامية.

- التلميذ:

هو المستهدف الأساسي من خلال عمليات التربية الإعلامية، لذا لابد من العمل على السماح له من الاقتراب أكثر من الإعلام سواء من خلال جلب إعلاميين ومتخصصين للمدرسة أو القيام بخارجات للمؤسسات الإعلامية أو إقامة ورشات داخل المدرسة للإنتاج الإعلامي.

- المقررات الدراسية:

من أهم خصائص المدرسة أنها تعتمد في عملها على برامج دراسية مضبوطة ومنهجية بها متخصصين مؤهلين، لذا فمن الضروري الأخذ بعين الاعتبار التربية الإعلامية في إعداد البرامج الدراسية، وذلك بالاستعانة بالمتخصصين الإعلاميين، وكذا العمل المستمر على تجديد هذه المقررات لتواكب التطورات الحاصلة في الميدان الإعلامي.

- التجهيزات:

هي الأخرى مهمة من حيث أنها هي من ستسمح للطفل بالتعلم وأمثلة هذه التجهيزات كثيرة نذكر منها توفير أجهزة الإعلام الآلي، وبعض وسائل الإنتاج الإعلامي كأدوات التصوير وكذا التسجيل، الربط بشبكة الانترنت...الخ.

الخاتمة

المجتمع يتطور بشكل متسارع في العصر الرقمي الذي نحن بصدد العيش في ظله وهذا ما يجعل من العمل على مواكبة هذه التطورات أمرا في غاية الصعوبة على عديد المستويات سواء ما تعلق منها بالاجتماعية، القانونية، الاقتصادية او غير ذلك، لكن يجب ان يبقى المحور الأساسي في هذا العمل هو الإنسان و حمايته، والجريمة الالكترونية كمظهر أساسي من مظاهر العصر الرقمي تعد تهديدا حقيقيا للإنسان وذلك قبل المؤسسات السياسية والاقتصادية والمالية وغيرها، لذا فمن الواجب الانتباه لهذا المستوى وإعطائه الأهمية التي يستحقها وفي هذا الإطار فان ما يعرف بمصطلح التربية الإعلامية يعد من اهم الوسائل التي قد تسمح لنا بحماية الانسان في هذا العصر.

قائمة المراجع:

1. Maurice CUSSON , La criminologie , 4 Edition , Hachette livre, Paris (France) , 2005.
2. Denis SZABOD , La déviance et Criminalité , Librairie Armand Colin , Paris (France) 1970.
3. Renard FILLIEULE ,Sociologie de la délinquance , PUF , Paris (France) , 2001.
4. صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان (الأردن)، 2000.
5. إسماعيل رياض، الخدمة العامة للشباب في مرحلة الانطلاق و الاشتراك ، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة (مصر)
6. بدر الدين كمال عبده، خيرى خليل الجميلي، المدخل في الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة، المكتب العالمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع الإسكندرية (مصر)، 1997.

الهوامش:

1. Maurice CUSSON , La criminologie , 4 Edition , Hachette livre ,Paris (France) , 2005 , P55-56.
2. Denis SZABOD , La déviance et Criminalité , Librairie Armand Colin , Paris (France) 1970, P 126 - 127 .
3. Renard FILLIEULE ,Sociologie de la délinquance , PUF , Paris (France) , 2001 , P 90.
4. صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان (الأردن) 2000 ص 15
5. اسماعيل رياض، الخدمة العامة للشباب في مرحلة الانطلاق و الاشتراك، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة (مصر) ، ص 8.
6. بدر الدين كمال عبده، خيرى خليل الجميلي، المدخل في الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة، المكتب العالمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية مصر، 1997 ، ص 5